أطباء الدار السلطانية في عصر بني الأحمر(635 – 897هـ/ 1238– 1492م) وجهودهم الطبية

الأستاذة الدكتورة/ بلهواري فاطمة
جامعة أحمد بن بلة –1–وهران
الجزائر.

الدكتورة/ عبو دليلة
جامعة أحمد بن بلة –1–وهران
الجزائر.
dalilaabbou31@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019-03-12 تاريخ القبول: 2019-06-10 تاريخ النشر: 2019-12-25

Abstract :

Andalusia was known as a scientific torch. It became clear that it was widespread in that country, and a number of its children became famous in many sciences, including medicine and related sciences such as pharmacy. Their attention was the most important in this field, as evidenced by their activity and scientific productionthat was A source of pride for them, so we find the books of translations praised the scholars in general, including those who excelled in this science.
The rulers of Andalusia throughout the Islamic rule of this country gave great attention to doctors; they brought them closer to them and gave them special status in the court of government, but this work did not exclude them from standing by the other group that was keen on serving the community.

I will discuss in a speech about the doctors of the Nasserite court like lasin al-Din Ibn Al-Khatib, Ahmed bin Mohammed Al-Karni, and their medical efforts and the special mention of their classifications in this field of science, those who have emerged in the field of medicine between the actual practice of the profession of medicine and writing about it.

Keywords: medicine, doctors, sultans, bani El-Ahmar, their efforts.

ملخص

عُرفت بلاد الأندلس بأنها مشعلا علميا، اتضح نوره بانتشاره في تلك البلاد، واشتهار عدد من أبناءها في الكثير من العلوم منها علم الطب وما يتصل به من علوم أخرى كالصيدلة، إذ كانت عنايتهم فائقة في هذا المجال بدليل نشاطهم والإنتاج العلمي الذي خلفوه، وكان ذلك بمثابة مصدر فخر واعتزاز لهم، لهذا نجد كتب التراجم أشادت بالعلماء عامة بما فيهم الذين برعوا في هذا العلم.

ولقد أولى حكام الأندلس طيلة فترة الحكم الإسلامي لهذه البلاد اهتماما بالغا بالأطباء؛ إذ قربوهم منهم وأعطوا لهم مكانة خاصة في بلاط الحكم، لكن هذا العمل لم يستثنيهممن الوقوف إلى جانب الفئة الأخرى التي كانت تسهر على خدمة المجتمع.

سأتناول الحديث ضمن هذه الورقة البحثية عن أطباء البلاط النصري كالسان الدين ابن الخطيب، أحمد بن محمد الكرْبي، وجهودهم الطبية ونخص بذكر مصنفاتهم في هذا المجال العلمي، أي هؤلاء الذين برزوا في مجال الطب بين الممارسة الفعلية لمهنة التطبيب وبين التأليف حولها.

الكلمات الدالة: الطب، الأطباء، السلاطين، بني الأحمر، جهودهم.

ترددت أحوال بلاد الأندلس في عصر بني الأحمر(635-897هـ/1237-1492م) بين القوة والضعف والثبات والهزيمة، بسبب الفتن الداخلية أو بسبب المد المسيحي، إلا أن هذه الظروف العصيبة لم تمنعها من أن تسير في الموكب الحضاري، على قدر ما أوتيت من إمكانيات وأن تقدم ألوانا عديدة من الإنجاز، مما يدل على حيوية هذه الأمة المسلمة واستعدادها للعمل والإنتاج.

وبذلك شهدت المنطقة اهتمام كبير من طرف المجتمع للجانب العلمي وهي ميزة توارثوها عن أسلافهم والذي أدى إلى نبوغ ما يزيد على الحد ولايدخل تحت الإحصاء والعد من العلماء في العديد من العلوم النقلية كالعلوم الشرعية والأدبية والتي كانت في صدارة الحقول العلمية التي حظيت بالعناية الشديدة إلا أنه نجد في المقابل فروع معرفة علمية أخرى لم تهمل من جانب العلماء بل حازت هي الأخرى باهتمامهم إلى حدا كبير من بينها علم الطب الذي عرفه عبد الرحمن ابن خلدون(ت سنة 808هـ/1405م):"**على أنه صناعة تنظر في بدن الإنسان فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد تبين المرض**"[1]ويقول أيضا:" **أنه معرفة مزاج الإنسان**"[2].

إذ لم يتوقف نشاطهم في هذا الميدان العلمي عند حدود ما أخذوه عن اليونان من العلوم الطبية، بل نظموه ودرسوه دراسة منهجية وأضافوا إليه ملاحظتهم، كما وصفوا الكثير من الأمراض التي لم يعرفها اليونانيون[3]، ولهذا نبغ في الطب وما يلحق به من علوم كالصيدلة والجراحة والأدوية في مملكة غرناطة ثلة من العلماء المرموقين والتي أن فضل بعضهم لازال باقيا لما كان لهم من تأثير على علم الطب وتطويره ليس في العصور الوسطى بل وحتى في العصر الحديث.

لهذا تتداعى أمام الأطباء خيارات عدة وهي إما خدمة وتلبية متطلبات المجتمع أو الالتحاق ببلاط الحكم وذلك بأمر من سلاطين القصر الغرناطي، ولهذا فبادئ ذي بدئ يتطلب منا تحديد دواعي جلب حكام قصر الحمراء للأطباء؟ وشروط انتقاء هذه النخبة العلمية؟ وماهي النتائج التي حصدها هؤلاء الأطباء بعد تنفيذهم لأوامر ملوكهم؟

1-دوافع استقطاب سلاطين بني الأحمر للأطباء في بلاط الحكم:

نلحظ عند دراستنا للطب في عصر بني الأحمر أن ملوك غرناطة كانوا يحرصون على أن يكون في قصورهم عددا من الأطباء و لم يكن ذلك وليد الصدفة وإنما كان وراء هذا العمل عدة عوامل بغرض تحقيق أهدافها بعينها وتتجلى فيما يلي:

1- ذهنية حكام بني الأحمر المحبة للعلم وتشجيع الرعية على طلبه وذلك بتذييل كل الصعوبات بهدف القيام بالرحلات العلمية – بلاد المغرب أو المشرق الإسلامي- و لم تكن هذه الظاهرة عند حاكم معين وإنما نستطيع تعميمها على سلاطين مملكة غرناطة بحيث كان مؤسس الدولة النصرية محمد بن يوسف بن الأحمر(649-671هـ/ 1232-1237م) يعقد مجلسا عاما ليومين في كل أسبوع يلبي فيه حاجات طلاب العلم ويستمع لإنشاد الشعراء[4]، وكذا السلطان محمد الثاني (672-701هـ/ 1273-1302م) الذي لقب بالفقيه لإشتغاله بالعلم وإجلاله للعلماء[5]ومحمد بن إسماعيل بن الفرج(725-733هـ/ 1325-1333م) الذي عرف بحبه للشعر[6]

2- موسوعية العالم إذ أنه لم يقتصر على التخصص في علم الطب بل كان جامعا لمختلف فروع العلوم النقلية والعقلية وفي هذا المضمون يقول ابن حزم الأندلسي(ت سنة 456هـ/ 1063م):" **ومن اقتصر على علم واحد ولم يطلع على غيره أوشك أن يكون ضحكة"**[7]، وفي هذا روي كذلك عن سعيد بن جبير أنه قال:" **لايزال الرجل عالما ما تعلم، فإن ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون"**[8] ويقول أيضا أحد الشعراء:

احرصْ عَلَى كل عِلم تبلغُ الأملا وَلاَ تُموتنَ بعلم وَاحدْ كسلا

النحلَ لَما رعتْ مِن كل فاكِهة أبدتْ الجَوهَرين الشَمعُ وَالعَسلا

الشمَعُ في الليل ضَوء يُستضَاءُ به وَالشهدُ يُبرى بإذن البَارئ العِلَلا[9].

وكل هذا قد يساهم في تنمية قدرات الحكام المعرفية بكل أصنافها.

3- معالجة الأطباء للحكام في حال إصابتهم بالأمراض وإن لزم الأمر الجراحة قاموا بذلك[10]، وتحديد لهم فيما يحسن تناوله من الأغذية والأشربة بهدف المحافظة على الصحة البدنية.وإن كان كل شيئ هو قضاء وقدر حتى المرض نفسه، أما الصحة والعافية فيناسبها مبدأ العزيمة والقـــدرة الإلهية[11].

4- جمعتفئة من الأطباء بين التطبيب والبراعة في بعض الخطط كالكتابة وهذا ما جعلهم عملة نادرة في مجتمعهم مقارنة مع أقرانهم الآخرين.

2- شروط انتقاء حكام بني الأحمر للأطباء:

ليس من المعقول أن يجلبوا حكام بني الأحمر إلى قصورهم أين كان من الأطباء، وإنما يكون الإختيار مبني على جملة من الشروط الأساسية والتي حاولنا استخراجها بعد اســـتنطاق للنصوص المصدرية الواردة في كتب التراجم الأندلسية وتتمثل فيما يلى:

- **الأخلاق الحسنة:** وتعتبر العمود الفقري في التعلم وفي ممارسة أي صنعة، إذ بها يقدر عـــدد خطوات التي ستقطعها في دربك العملي، وفي هذا قال سفيان بن عيينة:" العالم العامـــل هـــو الذي تتمثل فيه شريعة الله كاملة فينتفع الناس به قبل أن يسمعوا من علمه شيئا" وقال أيضا:" إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي صنعت"[12]، وغالبا ما يكون السلوك الجيد من نزاهة ووقار وحسن السمت والعهد وسلامة الصدر[13] وأن يكون حـــافظ للغيب والأمانة والبراءة من التصنع وكل هذا من صفات العالم المتواضع، وهذا مـــا يلاحظـــه المتفحص لكتب التراجم الأندلسية

-اتقان صنعة التطبيب: حتى تنال الرفعة والمكانة الجليلة سواء في مجتمعك أو عند حكام البلاد عليك أن تكون ثاقب في الفهم وعلى دراية واسعة بتخصصك العلمي عامة، وهذا ما ينطبق على الأطباء أنفسهم خاصة وأن مهنتهم حساسة جدا إذ تتعلق بحياة المريض، وقد يفرض هذا الأمر عليهم الدقة في تشخيص علة المريض حتى تكون المداواة على أحسن وجه[14].

3- أشهر أطباء البلاط النصري ومجهوداتهم الطبية: ويحسن بهذه الدراسة أن تتناول – في إيجاز- التعريف بأطباء البلاط النصري ورتبتهم حسب أقدمية الوفاة مع التعرض إلى الجهود الطبية التي بذلوها في هذا الميدان الحساس.

أ- تراجم أطباء البلاط النصري:

- أحمد بن محمد الكَزْني: هو من أهل غرناطة، اتصف بالأخلاق الحسنة والمثل العليا ومن ألقابه شيخ الأطباء لاعتزازه صنعة الطب، وكان مقرئا لها ذاكرا لنصوصها، موفقا في العلاج والمداواة، ومن شيوخه أبي عبد الله الرَّقُوطي، وابن عَرُوس، كما تتلمذ على يده عدد من الأطباء كأمثال أبي عبد الله بن سالم، أبي عبد الله بن سراج، كان حيا سنة 690هـ/ 1291م[15].

- محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي(ت سنة 717هـ/ 1317م): منكبي الأصل، يكنى أبا عبد الله كان حس المشاركة في الطب والأدب ومن شيوخه أبي جعفر الكزني، وولي الحسبة ومن شعره يخاطب السلطان على ألسنة الأطباء الذين كانوا يشتغلون ببلاط الحكم:

قد جمعنا ببابكمْ سَطْر عِلم لبلوغ المنى ونيل الإرادة
ومن أسمائنا لكم حُسْنُ فالٍ غالبُ وسالمُ وسعادة[16]

– **أبو عبد الله بن سراج:** هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روبيل الأنصاري(**654-730هـ/ 1256-1329م**)، من أهل غرناطة وطليطلي الأصل، كان من أهل التفنن والمعرفة متناهي الأبهة والحظوة، ذاكرا للأخبار وصاحب حظ من العربية والأدب والتفسير، قارضا للشعر وحسن الخط، له دراية بعلم الطب والنبات تتلمذ علي يد مجموعة من المشيخة نذكر منها في الطب كل من :أبي جعفر الكرني، أبا عبد الله الرقوطي، وفي القراءات أبي جعفر الطباع، وفي اللغة العربية أبي الحسن بن الصائغ الإشبيلي، كما أنه أكثر القراءة على شيخ الجماعة أبي جعفر بن الزبير[17].

– **عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد ابن علي السلماني(672-741هـ/ 1273-1340)**: والد لسان الدين ابن الخطيب، يكنى أبا محمد غرناطي الولادة والإستيطان، كان يتميز بطلاقة اللسان وثقوب الفهم حافظا للمثل واللغة، إخباريا مضطلعا بالتاريخ، ناظما ناثرا، من شيوخه أبي اسحاق بن زرقال، أبي الحسن البلوطي، أبي جعفر بن الزبير، أبي القاسم الحسني، أبي سعيد فرج بن لب التغلبي، واستجز له من أدركه ميلاده من أهل المغرب والمشرق[18]،ثم استقدمه ثاني سلاطين بني نصر أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر لكون أمه بنت هذا السلطان فنال في حضرة ملكهما شاء من الحظوة وفي عهد من بعده من السلاطين إلى أن توفي يوم وقيعة طريف سنة 741هـ/1341م، ومن شعره:

الطبُّ والشعَّرُ والكتابة سِمَاتُنا في بني النَّجابة

هُنّ ثلاثُ مُبَلغاتُ مراتبَا بعضُها الحجابة[19]

– **يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي:** يكنى أبا زكريا، كان آخر حملة الفنون العقلية في الأندلس، وخاتمة العلماء بها، من الطب والهندسة وهيئة والحساب وأصول وأدب، درس الأصول

والفرائض والطب في مدرسة غرناطة، قرأ على جملة من شيوخ وقته كالأستاذ أبي بكر بن الفخار أخذ عته العربية والأدب، وقرأ الطب على أبي عبد الله الأركشي وأبي زكريا القصري، ونظر الأصول على أبي القاسم بن الشاط، وأخذ الحساب عن أبي الحسن بن راشد[20]. والحساب والهندسة وكثيرا من عمليات الحساب وجبره ومقابلته والنجوم على أبي عبد الله بن الرقام، له تصانيف كثيرة منها ديوان شعره المسمى بالسليمانيات والعربيات وتنشيط الكسل بالإضافة إلى أخرى في الطب توفي سنة 753هـ/ 1352م[21].

– **أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري**: الغرناطي، يكنى أبا جعفر، ويعرف بالحبالي، كان عالما بالحساب وعلم الجدوال والنجوم وله دراية بالعلاج بالرقا والعزايم، ومن شيوخه في هذا المجال أبي عبد الله الفخار المعروف بأبي خزيمة، أبي زيد بن مثنى كما قرأ الطب على أبي زكريا بن هذيل، كان حيا سنة 763هـ/ 1361م[22].

– **محمد بن أحمد الرقوطي**:المرسي، يكنى أبا بكر كان عالما في المعرفة بالفنون القديمة، المنطق والهندسة والعدد والموسيقا والطب والفلسفة، وكان طبيبا ماهرا وآية الله في المعرفة بالألسن، بنى له ملك الروم مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود، توفي بباب السلطان[23].

– **لسان الدين بن الخطيب السلماني**: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني(**713-776هـ/1313-1374م**) شخصية موسوعية كان مؤرخ وطبيب وكاتب مترسل وشاعر فحل[24]، تتلمذ في حياته العلمية على شيوخ عدة منهم أبي عبد الله بن عبد المولى العواد، أبي الحسن القيجاطي، أبي عبد الله ألبيري، الخطيب ابن جزي، أبي عبد الله بن بكر، ابن الجياب، أبي زكريا بن هذيل، أبي القاسم محمد بن أحمد السبتي، أبي عبد الله محمد بن جابر، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقري، ترك العديد من الأعمال التي جعلته في

مصاف أعظم من أنجبتهم الحضارة الإسلامية[25] بحيث شملت فنون علمية متنوعة بين الفقه والحديث والفلسفة والأدب والتاريخ والطب نذكر منها الإحاطة في أخبار غرناطة، الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة، طرفة العصر في دولة بني نصر، نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، عائد الصلة وغيرها[26]، بالإضافة إلى ما سبق من تراجم هناك طبيب آخر هو إبراهيم بن زرزارة الذي ينحدر من أصول يهودية لكننا لم نعثر على ترجمته في كتب التراجم بل تعرضت إلى اسمه فقط.

ب– الجهود الطبية للأطباء البلاط النصري: من الطبيعي أن يقوم أطباء البلاط ببذل مجهودات طبية والتي ترتبط ارتباط وثيق بمدى تواجدهم في قصر الحكم أو صرفهم من قبل السلاطين والتي تتمثل فيما يلي:

– **أطباء البلاط بين مهنة التطبيب والتعليم:** أقدم أطباء القصر على ممارسة مهنة التعليم إلى جانب التطبيب ولكن هذه المرة ليس للطلبة وإنما لسلاطين القصر أنفسهم، وهذا ما فعله محمد بن أحمد الرقوطي مع الملك الثاني للدولة النصرية أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر إذ تعلم عليه الطب وعلوم أخرى كان يتقنها[27]. إضافة إلى تكوين أطباء جدد للبلاط بحيث أقدم أبو عبد الله الرقوطي على تجسيده في الواقع مع تلميذه أحمد بن محمد الكرني لكن هذا الأخير رد معروف شيخه بالسلب على عكس ما كان متوقع غالبا[28].

–**تأليف المصنفات الطبية:** شرع بعض أطباء البلاط في تدوين ما توصلوا إليه في علم الطب وفروعه على شكل مصنفات والذي كان مقرونا أحيانا بتشجيعات الحكام فمنها ما أصبح في عداد الكتب التي وصلتنا ومن جهة أخرى هناك كتب مفقودة أشار إليها أصحابها أو المصنفات التاريخية والتراجمية التي عثرنا عليه، وقد كان للمؤلف الغرناطي لسان الدين بن الخطيب حصة

الأسد من هذه المصنفات ومنها أرجوزة في فن العلاج من صنعة الطب عدد أبياتها نحو ألف وستمائة بيت تتضمن ذكر جميع الأمراض الكلية والجزئية[29]، أرجوزة أخرى المسماة ب"المعلومة"(مفقودة) وموضوعها الرتبة وعلاج السموم كتبها ليعارض بها الأرجوزة التي كتبها أبي علي بن سينا المسماة ب" الأرجوزة المجهولة، كتاب البيطرة (مفقود) ويقع في سفر واحد تضمن علاج الحيوانات كالخيل، كتاب البيزرة(مفقود) ويقع في مجلد واحد يبحث في أحوال الجوارح من الطيور، الرجز في عمل الترياق الفاروقي(مفقود)وهو دواء مركب يدفع السموم[30]، رسالة في تكوين الجنين(مفقود)، رسالة في الطاعون، عمل من طب لمن حب كتاب ضخم يقع في سفر واحد ويبحث في مختلف الأمراض وكيفية علاجها،المسائل الطبية (مفقود) ويقع في سفر واحد، المعتمدة في الأغذية المفردة، الوصول لحفظ الصحة في الفصول، اليوسفي في الطب[31].كما صنف أبا عبد الله بن السراج كتبا كثيرة منها في النبات لكن ابن الخطيب لم يفصح عنها، وكذلك وضع أبي زكريا بن هذيل مصنفين في الطب هما الإختيار والإعتبار في الطب و التذكرة في الطب[32].

– **مداواة المحتاجين والمساكين:** لم ينشغل أطباء الدار السلطانية بمعالجة السلاطين النصريين فقط بل كان للمحتاجين والمساكين وذوي الحاجة نصيب من هذه المعالجة وذلك من خلال ما فعله أبا عبد الله بن السراج بحيث أنه كان يزورهم في بيوتهم ويعمل على مداواة عللهم[33].

4– النتائج المترتبة بعد التحاق الأطباء بالدار السلطانية في عصر بني الأحمر: حصد أطباء الدار السلطانية عدة نتائج بعد ممارستهم لمهنة التطبيب والتي صوريا تظهر ايجابية لكن باطنيا تخللتها سلبيات كذلك تتمثل فيما يلي:

أ- النتائج الإيجابية:

- **المكافاءات المادية:** كان الحكام عادة يعملون على إغداق المولون لهم بالمال والهدايا سواء كانوا أطباء أو غيرهم والذي كان رسّم من سياستهم، بهدف تثبيت بقائهم إلى جانبهم وخدمة مصالحهم الشخصية بالدرجة الأولى، وكان أحيانا سببا في حدوث خصومات بين أطباء البلاط[34]، كما تجاوز سلاطين بني نصر في حسن تعاملهم مع الأطباء كل الحد لدرجة منحهم مسكن خاص بهم في قصر الحمراء والذي لم يقتصر على المبيت فيه فقط بل حتى مركز لتعليم الطلبة[35]

- **تولي المناصب الرفيعة في الدولة:** لم يكتف أطباء البلاط النصري بممارسة مهنة الطب فحسب بل أوكل لهم السلاطين النصريين مهام أخرى من الخطط السلطانية، فكان لسان الدين بن الخطيب أنموذجا لذلك بحيث فوضه السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل ابن الفرج(733-755هـ/1333-1354م)معظم شؤون الدولة، يختار العمال والقضاة ويصدر المراسيم بل أنابه عنه أثناء اشتراكه في معركة طريف الشهيرة عام 741هـ/1341م، وكاتبا في ديوان الإنشاء مرؤوسا بأبي الحسن بن الجياب ثم ما لبث أن خلف ابن الجياب في رئاسة الديوان، كما تقلد منصب الوزير بعد وفاة ابن الجياب سنة 749هـ/1349م وفي نفس الوقت سفيرا إلى الملوك[36]، و لم يفقد ابن الخطيب هذه المكانة الرفيعة بعد تولي السلطان محمد الخامس الغني بالله سدة الحكم[37].

- **الأطباء يختبرون الوافدون على البلاط:** إن الثقافة الموسوعية التي كان يمتلكها الأطباء جعلت حكام بني نصر يكلفونهم باختبار من يرد على الحضرة مما يحمل فنا معينا، وهذا ما طبقه الملك النصري الثاني إذ عين أبو عبد الله الرقوطي بتفيذ هذه المهمة بدليل أنه لما حضر محمد بن

يوسف بن خلصون[38] إلى القصر سأله ما صناعتك. فقال التصوف فالتفت إلى السلطان وقال: هذا الرجل ضعيف لاشيئ لديه، بحيث لا يفرق بين العلوم فصرفه السلطان رحمه الله[39].

الإستشهاد في سبيل الله: أقبل الأطباء على الجهاد والإستشهاد، بعد مرافقتهم لسلاطينهم وفي هذا الطرح قال ابن حزم(ت 456هـ/ 1063م):" من أمره الأمير بالجهاد إلى دار الحرب ففرض عليه أن يطيعه في ذلك إلا من له عذرا قاطع"[40]،وقد يظهر عظم الجهاد عند أهل الأندلس في رسالة لسان الدين بن الخطيب في تفضيل الجهاد على الحج حيث يقول: "واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من فضل سوى كونها ملاعب للجهاد لكان كافيا...كتب لله لكم عملا صالحا، يختم بالجهاد صحائف بره...فإنكم إذا حججتم أعدتم فرضا أديتموه...ويوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فرحين بما أتاهم الله من فضله"[41]، فضلا على ما ورد في القرآن والسنة النبوية التي كلا منها كان يحث على الجهاد وغايته الأولى الفوز في الدار الآخرة بعد أن يكلله الله سبحانه وتعالى بالجنة ومن الأطباء الشهداء والد لسان الدين بن الخطيب الذي استشهد في معركة طريف سنة 741هـ/1341م[42].

ب- النتائج السلبية:

- **النزاعات الشخصية:** والتي ظهرت في البلاط بسبب المنافسة والغاية منها التقرب أكثر من السلاطين ومن ثم التربع على مكانة رفيعة عندهم، وخير نموذج على ذلك ما حدث بين أحمد بن محمد الكرني وشيخه أبي عبد الله الرقوطي، والذي أوجب من شيخه يمينا أن لايحضر معه بمكان، فلم يجتمعا بباب السلطان بعد[43].

– **توتر العلاقات بين أطباء البلاط والحكام النصريين:** قد يكون التقرب من الحكام نقمة أكثر منه نعمة وهذا ما حدث مع العديد من الأطباء وفي مقدمتهم لسان الدين بن الخطيب حيث واجه محنة قاسية مع سلطانه الغني بالله محمد بن يوسف الأول(فترة حكمه الأولى:755هـ-760هـ/1354-1359م/فترة حكمه الثانية:762-793هـ/1361-1391م) حين قام إسماعيل بن يوسف شقيق السلطان بانقلاب ضده، وقتل حاجبه رضوان واضطر السلطان النصري إلى الفرار نحو وادي آش، أما ابن الخطيب وزيره فقد سجن وصدرت أملاكه جميعا[44]، ولكن ما لبث أبو سالم المريني سلطان المغرب[45]أن بذل شفاعته لدى السلطان الغرناطي الجديد فأذن لابن الخطيب والغني بالله بأن يتوجها إلى المغرب، وبعد عودة الملك إلى السلطان الغني بالله شعر ابن الخطيب بتغير سلطانه عليه وسببها مؤامرة كانت تحاك ضده عندما أقدم أبو الحسن النباهي وابن زمرك باتهامه بالخروج عن الإسلام وانصرافه إلى الدنيا، وتنديده بالأحياء والأموات في كتبه التاريخية مما يدخل في باب الغيبة المحرمة، هذا إلى جانب اتهامه بالإبتداع واعتناق آراء الفلاسفة والزنادقة، وقد كان أسوأ ما وجه إلى ابن الخطيب من التهم هو الإلحاد والطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وكل هذا كان سببا قويا في خروجه مرة أخرى من مسقط رأسه إلى المغرب أين كانت نهايته وبهذا ذهب عبقري غرناطة نتيجة الأحقاد والدسائس[46].وأحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الذي تعرض لضرب بالسياط واجلائه إلى تونس، كما امتحن الطبيب أبي عبد الله بن السراج عقب موت ثاني سلاطين بني نصر فجأة إذ أنه سأل عن الطعام الذي تناوله قبل وفاته فأخبر أنه تناول كعكا وصله ولي عهده، فقال كلام أوجب نكبته فسجن طويلا ثم أجلي إلى العدوة ليعود إلى غرناطة بعد فترة زمنية[47].

وهكذا نلمس ما كان يحتله بعض أطباء ذلك العصر من مكانة عالية لدى الحكام وأن ارتباطهم العلمي بخدمة السلاطين قد دفعهم إلى مزيد من الدراسات العلمية التي تعلي مكانتهم وترفع شأنهم أكثر في بلاط الحكم، وفي مقدمتها تآليفهم للمصنفات الطبية التي تتعلق بالأمراض الغالبة الإنتشار آنذاك والأدوية المناسبة لها، وفي نفس الوقت تقلد البعض منهم مناصب رفيعة في الدولة، كما تعرض عدد من الأطباء إلى أبشع طرق الإضطهاد والتعذيب.

الهوامش

1- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار- دار الفكر – بيروت- 1421هـ/2000م، د.ط، ص620

2- المصدر نفسه، ص521

3- حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء- القاهرة- 1998م، ط1، ص46.

4- ابن الخطيب أبو عبد الله لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي – بيروت- 2009، ط1، ص69

5- المصدر نفسه، ص75.

6- المصدر نفسه، ص106.

7- ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية- بيروت- 1983م، ط1، ج4، ص77.

8- ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية- بيروت- ط1، 1983، ج4، ص77.

9- أحمد بن مصطفى بطاش كبرى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوع العلوم، دار الكتب العلمية- بيروت- ط1، 1405هـ/1985م، مج1، ص6.

10- بوحسون عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية(635-897هـ/1238-1492م)، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي- جامعة تلمسان-2012-2013م، ص203.

11- محمد سرو، النظر والتجريب في الطب الأندلسي بين ابن رشد وابن زهر(دراسة ابستمولوجية تحليلية)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- الرباط- 1436هـ/2015م، ص71.

12- عبد الغني الدقر، سفيان بن عيينة شيخ شيوخ مكة في عصره، دار القلم- دمشق- 1412هـ/1992م، ط1، ص92.

13- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت- 1424هـ/2003م، ط1،ج4، ص334

14- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1، ص83.

15-المصدر نفسه، ج1، ص83

16- المصدر نفسه، ج3، ص131.

17- المصدر نفسه، ج3، ص122-123

18- المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت- 1408هـ/1988، د.ط، ج7، ص290

19- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص295-296.

20-ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل- بيروت- 1414هـ/ 1993م، ج4، تر1137، ص412

21- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص344./ ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت- 1983م، تر22، ص73.

22- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص82.

23-المصدر نفسه، ج3، ص48

24- ابن الخطيب لسان الدين السلماني، جيش التوشيح، تح: هلال ناجي، محمد ماضود، مطبعة المنار – تونس- مقدمة التحقيق، ص أ.

25- هاشم المعروفي، عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور، مطبعة الدار البيضاء – الرباط-1407هـ/1987م، ط1، ج1، ص76/ محمد محمود الخزعلي، لسان الدين وأدب الرحلة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد 39، 1427هـ، ص312.

26- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، ص390

27-المصدر نفسه، ج3، ص48

28- المصدر نفسه، ج1، ص83

29-المصدر نفسه، ج4، ص390

30-المقري، المصدر السابق،ج7، ص98.

31- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص123

32-ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص390/ المقري، المصدر نفسه، ج7، ص98

33-المقري أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة- القاهرة- 1358هـ/1939م، ج1، ص189-190

34-ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص122.

35-المصدر نفسه، ج1، ص83.

36-المصدر نفسه، ج3، ص48.

37- ابن الخطيب، خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس، تح: أحمد مختار عبادي، دار السويدي – أبو ظبي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- 2003م، ط1، ص14./ أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، دار المعرف – تونس- 1998م، ط2، ص244/ ابن الخطيب، الإشارة إلى أدب الوزارة، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1424هـ/2004م، ط1، ص13-14/ابن الخطيب لسان الدين السلماني، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة، حسن محمود، دار الكتاب العربي – القاهرة- د.ت، د.ط، ص5./ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص445/ مصطفى إبراهيم حسين، مصادر لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات القسم الأول: التاريخ وفلسفته- مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1417هـ/1996م، ط1، ص333

38-**محمد بن يوسف بن خلصون**: يكنى أبا القاسم، روطي الأصل له معرفة بالعلوم العقلية متبحرا في الإلهيات، إماما في طريقة الصوفية، من أهل المقامات والأحوال كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا قائما على القرآن، فقيها أصوليا، فانزعج من لوشة إلى مالقة فتحرف بالطب إلى غاية وفاته، ومن مؤلفاته كتاب المحبة، وصف السلوك إلى ملك الملوك، الفتق والرتق في أسرار حكمة الشرق(نفسه، ج3، ص194)

39-ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص194.

40-ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، المحلى، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة- مصر 1347هـ، ط1، ج7، كتاب الجهاد، المسألة رقم 261، ص291.

41- المقري، نفح الطيب، ج1، ص188.

42- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص296.

43-المصدر نفسه، ج1، ص83.

44- رابح عبد الله المغراوي، ابن الخطيب الأندلسي من الإنقلاب إلى الإغتيال 760-776هـ/1359-1374م، مجلة حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة المغرب – العدد 26- 1427هـ/2006م، ص20 .

45-**هو أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني**: لقبه المستعين بالله، تولى الأمر بعد هلاك أخيه أبي عنان ثائرا على ابنه الذي تولى الحكم صبيا مستعينا بملك قشتالة بعد أن يئس من عون مملكة غرناطة التي كان لاجئا بها أيام حكم أخيه أبي عنان سنة 760هـ/ 1359م وقتل سنة 762هـ/1374م(أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب – المغرب- 1955، ط2، ج4، صص7-40. /ابن الخطيب، خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس، تح: أحمد مختار عبادي، دار السويدي – أبو ظبي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- 2003م، ط1، ص14./ أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، دار المعرف – تونس- 1998م، ط2، ص244 بوطالب عبد الهادي، وزير غرناطة لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني، دار الكتاب – الرباط- 1960م، ط2، صص227-228./ نضال سالم النوافعة، الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها- جامعة مؤتة- 2008م، ص72.

46- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص82

47- المصدر نفسه، ج3، ص122.